

تعرض المغرب خلال ق 19م لضغوط استعمارية (عسكرية، دبلوماسية، واقتصادية) استهدفت انتزاع أجزاء ترابية، والتقليل من مكانة المخزن المغربي وسلطته، ليلجأ المغرب إلى اعتماد محاولات إصلاحية للحد من هذه الضغوط باءت بالفشل نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية.

✚ فما هي أنواع الضغوط الاستعمارية على المغرب؟

✚ وما هي الميادين التي همتها الإصلاحات بالمغرب؟

✚ وما هي عوامل فشل هذه الإصلاحات؟

I - خضع المغرب لضغوط استعمارية مختلفة:

1 - الضغوط العسكرية:

تمثلت في التدخل العسكري الفرنسي والاسباني في المغرب، فنتيجة لمساعدة المغرب للمقاومة الجزائرية، تدخلت فرنسا بأسطولها وقصفت مدينة طنجة في السادس من غشت سنة 1844م، ثم مدينة الصويرة في 11 غشت من نفس السنة، وفي 14 غشت سنة 1944م وقعت معركة إيسلي حيث انهزم الجيش المغربي أمام الجيش الفرنسي، والتي تلخصت أسبابها في رغبة فرنسا التوسع انطلاقا من الجزائر على حساب المغرب، ومساندة هذا الأخير للمقاومة المسلحة الجزائرية، أما نتائج هذه المعركة فتمثلت في عقد معاهدة للا مغنية سنة 1845م التي تركت الحدود المغربية الجزائرية غامضة جنوب مركز "ثنية الساسي" (ناحية فكيك)، واستغلت فرنسا هذا الغموض لتحتل في أواخر ق 19م أجزاء من الصحراء المغربية الشرقية، وفي سنة 1848م احتلت إسبانيا الجزر الجعفرية ووسعت نفوذها انطلاقا من سبتة ومليلية، مما أدى إلى معركة تطوان (1859-1860) حيث تم احتلال مدينة تطوان في 6 فبراير 1860م، وأبرم المغرب صلحا مع إسبانيا يوم 26 أبريل من نفس السنة، وفق شروط قاسية:

✓ توسيع رقعة الاحتلال الإسباني على حدود سبتة ومليلية

✓ دفع غرامة مالية ضخمة للأسبان (20 مليون ريال).

✓ تأدية جزء من الغرامة باستفادة الأسبان من نصف مداخيل الشهر في المراسي المغربية.

✓ السماح للأسبان بالصيد في الشواطئ الجنوبية.

وقد ترتب عن هزيمتي إيسلي وتطوان:

✓ تراجع الاحتياطي النقدي (فضية وذهبية).

✓ استئانة المغرب من المجلتر لتعويض الغرامة مقابل التنازل لها عن 25% من رسومه الجمركية.

✓ تراجع هيبة المخزن وتعزيز النفوذ الأجنبي بالمغرب.

✓ تفاقم الحمایات الفردية بالبلد.

شكلت إذن هزيمتي إيسلي وتطوان بداية مسلسل من النكسات العسكرية، والتدهور الاقتصادي، والاقطاعات الترابية التدريجية

للمغرب، ومهدت للتغلغل الأوربي خلال النصف الثاني من ق 19م.

2 - الضغوط الدبلوماسية والاقتصادية:

فجح المغرب سياسة الاحتراز من أوروبا إلى منتصف ق 19م باتخاذ إجراءات تقلص من التعامل مع الأوربيين، لكن الدول الأوروبية

عملت على إخراج المغرب من عزلته وذلك بتدخلها العسكري، ثم بالحصول على الامتيازات عن طريق الاتفاقيات المبرمة، وتحت الضغط

والتهديد العسكري، اضطر المخزن إلى مراجعة سياسته التجارية مع أوروبا، وأبرم المغرب في عهد المولى عبد الرحمان في 9 يناير 1856م

اتفاقية تجارية مع بريطانيا، حصلت بموجبها على امتيازات هامة كحق التجارة والتملك والتنقل داخل المغرب، وتخفيض الضرائب على الواردات إلى 10% نقداً، ومنح الحماية الفردية للمغاربة، وحصلت إسبانيا على نفس الامتيازات بعد اتفاقية 1861م، وفرنسا بعد اتفاقية 1863م، وأصبحت الأسواق المغربية مفتوحة أمام المنتجات الأوروبية مما أدى إلى تدهور اقتصاد المغرب وتضرر الحرفيين بسبب المنافسة، وارتفاع أسعار المواد الأولية نتيجة تصديرها إلى أوروبا، واضطر المخزن إلى إحداث ضرائب جديدة (المكوس) فقامت ثورات وتمردات في الأوساط الحضرية والقروية، ومكنت الحماية الفردية لمجموعة من المغاربة المحميين (يهود ومسلمين) من الخروج عن السلطة المحلية، حيث يتمتعون بحقوقهم كمغاربة وليست عليهم واجبات مخزنية، وجمعوا ثروات هامة وظفوها في التجارة والمضاربات العقارية والقروض بفوائد مرتفعة، وفي شراء الأراضي الفلاحية، وأصبحوا وسيلة للتوغل الاستعماري وإضعاف السلطة المركزية حيث شملت الحماية الفردية موظفي المخزن وشيوخ الزوايا، مثل: (الوزاني) والعمال والقواد، بل حتى وزير الحربية (المنهجي) في بداية ق 20م، واستفاد اليهود المغاربة من هذه الوضعية وتجنسوا بجنسيات أجنبية، وساهموا في الأزمة الداخلية.

II - الإصلاحات التي قام بها المخزن المغربي لمواجهة الضغوط الاستعمارية:

1 - الإصلاحات الإدارية والجبائية والنقدية:

تم إصلاح الإدارة المركزية بتحديد اختصاصات كل وزير، وأصبحت مهمة الصدر الأعظم تقتصر على السهر على الشؤون الداخلية والمراسلات الرسمية بين الإدارة المركزية والعمال والباشوات والقواد، وتم تعيين أمين الأمناء ومهمته السهر على جباية الضرائب وتنظيم مختلف الشؤون المالية، وعلى المستوى الجهوي تم الحد من نفوذ القواد الكبار بتقسيم مناطق نفوذهم إلى قيادات صغيرة، كما تم التقليل من نفوذ الزوايا المتعاملة مع الأوربيين، وتم تعميم نظام الأجور على موظفي المخزن مركزياً وجهوياً، حيث أصبحت رواتبهم قارة، وذلك تجنباً للنهب والتلاعب في مداخيل الدولة، وحتى يتمكن المخزن من تسديد القروض الأجنبية، لكن التقلبات الاقتصادية المرتبطة بالجفاف والأزمات الدورية وتدهور قيمة العملة المغربية ورواج النقود المزورة، دفع المخزن إلى سك عملة فضية جديدة في عهد الحسن الأول سميت بـ "الريال الحسني"، وحاول المخزن الزيادة في مداخيل الدولة فأحدث ضريبة "المكوس" على الأسواق وأبواب المدن، وزاد في قيمة الرسوم الجمركية، مما أدى إلى قيام ثورات أشهرها ثورة الدباغين بفاس سنة 1873م.

2 - الإصلاحات العسكرية:

اعتمد المغرب في إصلاحاته العسكرية على الأوربيين الذين كانوا يفكرون ويخططون لاحتلاله، ففي عهد الحسن الأول (1873 - 1894) تم إرسال بعثات طلابية إلى الأكاديميات الأوروبية لتكوين ضباط مغاربة وتدريبهم على الأسلحة الحديثة، وبلغ عدد الضباط المغاربة المتخرجين من أوروبا 180 ضابطاً سنة 1880م، كما استعان الحسن الأول بضباط وخبراء فرنسيين وإنجليز قصد تدريب الجيش المغربي، وقام بإنشاء معامل لإنتاج الأسلحة في فاس ومراكش، واقتنى أسلحة من أوروبا ومراكب حربية لحراسة السواحل المغربية، ولمنع تجارة التهريب، وقد كلفت هذه الإصلاحات نفقات باهضة أثرت على ميزانية الدولة، حيث عرف الميزان التجاري المغربي عجزاً كبيراً وصل إلى 14 مليون فرنك فرنسي.

3 - محاولة الحد من خطر الحماية الفردية:

تفاقم خطر الحماية الفردية وأصبح يهدد سيادة المخزن وماليته، ودعا الحسن الأول الدول الأوروبية إلى تقنينها، فانعقد مؤتمر مدريد سنة 1880م حققت من خلاله الدول الأجنبية مكاسب جديدة، حيث تمسكت بالامتيازات التي تحولها لها اتفاقياً السابقة مع المغرب، مثل: الحق في امتلاك العقارات والأراضي وإبقاء الحماية الفردية، كما مارست ضغوطاً على المغرب للحصول على امتيازات جديدة، لكن الحسن الأول عارضها معتمداً على اقتراحات العلماء والأمناء وكبار التجار، وبذلك تأزمت أوضاع المغرب على جميع المستويات.

خاتمة:

لقد واجهت سياسة الإصلاحات مجموعة من الصعوبات أدت إلى فشلها، كما أدى تدهور الأوضاع السياسية بفعل انتشار الانتفاضات والصراع على العرش، إلى استغلال كل من فرنسا وإسبانيا لهذه الوضعية لتفرضاً على السلطان عبد الحفيظ معاهدة الحماية.

شرح المصطلحات:

- مكوس الأبواب: الضرائب المفروضة على التجارة المارة عبر أبواب المدن .
- مكوس الحافر: الضرائب المفروضة على الدواب الحاملة للبضائع لبيعها داخل المدن .
- مكوس الأسواق: الضرائب المفروضة على المبيعات في الأسواق.
- الترتيب: ضريبة فلاحية سنوية حددت قيمتها حسب امتلاك المزروعات والأغراس والمواشي والدواب.